

"مُصالحو" الجنوب الدمشقي إلى إدلب: "الله والفرقة الرابعة"

almodon.com/arabworld/2018/8/29/مُصالحو-الجنوب-الدمشقي-إلى-إدلب-الله-والفرقة-الرابعة

يستعد العشرات من شبان مناطق الجنوب الدمشقي، من الخاضعين لـ"تسوية أوضاع" لدى فروع الأجهزة الأمنية والمتطوعين في صفوف "الفرقة الرابعة"، للانطلاق إلى الشمال السوري، بغية المشاركة في معركة إدلب المرتقبة، والتي يحشد لها النظام الآلاف من "قوات النمر" و"الحرس الجمهوري" و"الفيلق الخامس"، بالإضافة لمئات العناصر من مناطق "المصالحات"، خاصة من درعا وريف دمشق.

وأفادت مصادر موثوقة من بلدة يلبدا، بتجهّز دفعات خلال الأيام القليلة الماضية، من شبان يلبدا وبييلا وبيت سحم ومخيم اليرموك والحجر الأسود والتضامن وغيرها، بقيادة مصطفى القصير "أبو راتب"، القائد الميداني السابق في فصائل معارضة مسلّحة، بانتظار نقلهم إلى أرياف إدلب وحماة وحلب. ويُقدّر العدد الكلي لهؤلاء المقاتلين، في ظل صعوبة الوصول إلى إحصاء دقيق، بما بين 200-400 عنصر، كانوا قد تطوّعوا في صفوف "الفرقة الرابعة"، وعملوا في كنف "قوات الغيث" التابعة لها، بأمره العقيد غيث دلة، بعد توقيع اتفاق "مصالحة" في أيار/مايو، وتهجير قرابة 9500 شخص من جنوبي دمشق إلى الشمال السوري، بينهم مئات مقاتلي الجيش الحر والكائب الإسلامية.

وأوضح مصدر محليّ من يلبدا أنه "جرى بالفعل خلال الأسبوع الماضي، نقل بعض المجموعات من المنطقة، وتوقعنا إرسالهم إلى إدلب، ولكن في اليوم التالي أعيدت المجموعات إلى يلبدا مع إعلامها بضرورة الاستعداد الدائم للانطلاق إلى الشمال في أي وقت". وأشار المصدر إلى أن المتطوّعين الجدد في "الفرقة الرابعة/قوات الغيث" ملزمون بالمشاركة في معركة إدلب بأمر من القيادة.

وأظهر تسجيل مصوّر حصلت عليه "المدن" تجمّع العشرات من عناصر التسويات، الأسبوع الماضي، قبل نقلهم من المنطقة، أمام مبنى فرع "الأمن السياسي" في بلدة يلبدا، ومن بينهم مقاتلون سابقون في فصائل المعارضة، عرف منهم أمين عقلة الملقّب "البّه"، وهو القائد الميداني في "جيش الأبايل" سابقاً، وثابت يونس الملقّب بـ"أبو حازم اليلداني"، ورمضان حامد، وأبو بكر الحموي، ووائل الدالاتي، وآخرون. وحيث الدالاتي ومقاتل آخر أمام عدسة المصوّر "الفرقة الرابعة" قائلين: "الله والرابعة، الرابعة تابعة لله"، في مشهد كوميدي وتراجيدي في آن، بعدما كان الشبان مقاتلين في صفوف المعارضة المسلحة خلال السنوات الماضية.

وعلى الرغم من انضمام مقاتلين وقياديين سابقين في صفوف فصائل المعارضة إلى قوات النظام، أمثال مصطفى القصير، الذي وبحسب المصدر كان "قائداً ميدانياً في لواء شام الرسول، ومن ثم في جيش الأبايل، قبل تجريده من سلاحه وتحبيده عن العمل المسلّح آخر فترة، لكثرة المشاكل والانتهاكات التي ارتكبتها، إلّا أن القسم الأكبر من المنضمين لقوات النظام كانوا بالأساس مدنيين يعيشون في المناطق المحرّرة، ويعملون في مهن مختلفة، من دون أن تكون لهم مشاركة فعلية في العمل المسلح ضد النظام".

"الفرقة الرابعة" ليست المسؤولة وحدها عن ابتلاع شبان مناطق "المصالحات" جنوبي دمشق، بل أيضاً فروع الأجهزة الأمنية، وتحديدًا "فرع الدوريات" و"سرية المداهمة 215" التابعين لـ"شعبة الأمن العسكري". وتطوّع عشرات المقاتلين والقياديين السابقين في صفوف فصائل المعارضة في بلدة يلبدا، بهذين الفرعين، ومنهم "أبو زاهر" من "جيش الإسلام"، و"أبو محمد أسامة" من "ألوية سيف الشام"، ورامز حامد "أبو سليمان" من "جيش الأبايل" والمكتب الأمني بيلدا، وآخرون.

مصدر "المدن" من يلبدا قال: "غالبية المتطوعين في الفرقة الرابعة أو فرع الدوريات و215، سلكوا هذا الطريق خوفاً على أنفسهم من الملاحقة والاعتقال أو الانتقام، في ظل عودة سيطرة النظام تدريجياً على المنطقة الجنوبية، لذلك جاء تطوّعهم بقصد الحصول على بطاقات أمنية أو عسكرية، تتيح لهم حماية مباشرة من الجهة المسؤولة"، وأضاف "حتى أن خوف هؤلاء من بعض الأجهزة الأمنية دفعهم لحماية أنفسهم بالاستناد على فروع أجهزة متنفّذة وذات سلطة، كالدوريات و215 والفرقة الرابعة التي تتامت قوتها وسيطرتها في الآونة الأخيرة، فالوضع الأمني حالياً مختلف بشكل كبير عما كان قبل المصالحة".

الركون لهذا التحليل فقط لا يفسّر ذهاب بعض المحسوبين سابقاً على الثوار والفصائل العسكريّة، عن سابق قناعة، للمشاركة كنقاً لكتف إلى جانب أعداء الأُمس في معاركهم، في حوض اليرموك في درعا وشرقي السويداء وأخيراً إلى إدلب. ويجدر أيضاً تشريح هذه الظاهرة المتنامية في المناطق التي خضعت لـ "مصالحة" مع قوات النظام، انطلاقاً من فهم تركيبة البنية الشخصية لهؤلاء الشبان، ونزوعهم المرضي نحو السلطة والقوة والمال، في أي مقلب كان ذلك، إن كان في صف الثورة أو النظام، عدا عن كونهم سيتحوّلون مع الوقت إلى "ملكيين أكثر من الملك" في إطار سعيهم للتبرؤ والتكّر من ماضيهم "الثوري" أمام القادة الجدد، تأسيساً على قاعدة الحماية الشخصية كخطوة أولى، وصولاً إلى بناء أدوار أكثر ريادية وإجراماً. وذلك كما حصل مع القيادي في الجيش الحر في برزة سابقاً معاوية البقاعي "أبو بحر"، والذي تلقى تكريماً من النظام على خدماته في إطار "محاربة الإرهاب مع الجيش العربي السوري"، بسبب مشاركته وكتيبته في معارك النظام في ريف حماة الشمالي والشرقي ومناطق أخرى.

قبل معركة إدلب، استطاع النظام ترميم قواته المنهكة بآلاف "الإرهابيين" كما كان يصفهم، ليضعهم في مواجهة دموية مع رفاقهم وأبناء مناطقهم المهجّرين، من درعا والغوطين والقلمون وغيرها، بعدما تمكّن من تحويلها من حاملٍ بشريٍّ للثورة إلى غابةٍ من القش يحتطب فيها الأسد ونمره للحرب الطاحنة القادمة.